

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن المدد ١.٥ مليا

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة أسبوعية للعلوم والآداب والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - مابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

العدد ٥٢٥ القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ رجب سنة ١٣٦٢ - الموافق ٢٦ يولية سنة ١٩٤٣ السنة الحادية عشرة

حكمة الصين

للأستاذ عباس محمود العقاد

في الحروب شر يتبمه أو يتخلله بعض الخير

فالشر المحض ليس له وجود، ولا سيما في الحوادث الكبيرة،
ومن الخير الذي في الحروب أنها تبين على تعريف الأمم بعضها
ببعض، وتعلم الناس ما لم يكونوا يعلمونه من شئون البلاد
الأخرى. فلا تقتضى حرب بين أمتين أو أمم شتى إلا تركها
وهي أعرف بأحوالها ورجالها مما كانت قبل اشتغالها، ومصدق
ذلك ظاهر في الحروب الأوروبية القريبة، وفي كل حرب من
الحروب الموزعة في جوانب الكرة الأرضية

ومنها حرب الصين واليابان

فالأوروبيون كانوا يذكرون الصين في القرن الماضي فلا
يذكرون بها غير الأفيون والخطر الأصفر، والحائط الأعظم
الذي يحيط بها منذ قرون. وقد يذكرون الرسوم والنقوش
والآنية وطرفا من الحكمة التي تنسب إلى كنفشيوس، فإذا بهم
قد ذكروا عنها كل ما يرفقون، أو كل ما أرادوا أن يرفقوه
أما اليوم فالصين بلاد مكشوفة يكتب عنها في لسان العالم
كما يكتب عن البلاد الأوروبية، ويقرأ الناس ما يكتبه أدباؤها
وما يكتبه أدباء العالم عنها، وبحسب جمهور القراء في السائل

الفهرس

صفحة

٥٨١	حكمة الصين ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٥٨٤	الحديث ذوشجون : إلى الأستاذ { الدكتور زكي مبارك ...
٥٨٧	الشرح المصري وكيف نشده { الأستاذ درويش خنية ...
٥٩٠	كيف بدأ الإصلاح في الأزهر { الأستاذ عبد الشمال الصيدي
٥٩٢	أقوياء الأبدان في العصور { الأستاذ محمود عواد ...
٥٩٤	من ميدان الحياة ... : الأستاذ شكرى فيصل ...
٥٩٥	حلة عقلية ... : الأديب محمد شاهين الجوهري
٥٩٧	تينة الجبل ... [قصيدة] : الأستاذ أحمد الصافي النجدي
٥٩٨	الوشوشة والهيئة ... : ناقد جليل ...
٥٩٨	إصلاح التعليم في مصر ... : الأستاذ حسين حسن مخلوف
٥٩٩	من رسائل الراسي : القنطان { الأستاذ محمود أبو رية ...
٦٠٠	تقعة نموة ... : الأديب حسين محمود البهيبي
٦٠٠	تصويب ... : ...

الصينية بثلاث الألوف بين جميع الأجناس والألوان

وأشهر أدباء الصين الذين عرفناهم بعد حربها الأخيرة هو

لن يوتانج غير مدافع

وأخر ما قرأناه له مقال في مجلة أمريكية عنوانه « ما بالك

لست بفيلسوف ؟ » :

خلاصته أن الشرق والغرب يجب أن يلتقيا ، أو هما قد

التقيا ، وأن التقاءهما ضروري لأن إدراك العقل لطبيعة الإنسان

قد تغير ، كأنك قد عمدت إلى بناء فخطمت قواعده فهو لا يتأسك

ولا يمداد تعميره ليسع العالم الجديد حتى يشترك في بنائه كل من

سيأوى إليه ، وهم الشرقيون والغربيون

قال ما خجوا : لما قرأت أن وندل ويلسكي كان في شنتكنج

يوم الجمعة وعاد إلى أمريكا يوم الإثنين ذعرت !... أي فسحة

آخر الأسبوع بين قارتين ؟ إن الشرق والغرب إذن للفتيان

واستطرد قائلاً : إن عالمًا جديدًا ينبثق أن يسبك من عناصر

الثقافات الإنجلوسكسونية والروسية والشرقية ؛ وأن حكمة

الشرق هنا ذات غناء كبير

وراح يسأل : هل للصين فلسفة أو مذهب فلسفي كذهب

ديكارت مثلاً أو كانت أو غيرها من المذاهب التي تقيم لنا بناء

منطقيًا شامخًا للتعريف بأسرار الكون ؟

ثم أسرع يجيب : كلا ، مع الفخر !

فأما « كلا » فهذا صحيح وينطبق على الصين كما ينطبق على

بلاد شرقية كثيرة

وأما « مع الفخر » فهذا الذي فيه قولان أو أكثر من قولين

والواقع أن فلسفة الصين كلها تنحصر في موضوعين متقاربين :

أحدهما آداب السلوك ، والآخر رياضة النفس على علاج الأهواء

ومسيرة الحياة

ومن كلام لن يوتانج هذا : « إنني - حين أتكلم بلسان

الرجل الصيني - لا أحسب أن حضارة من الحضارات تسمى

كاملة ما لم تنتقل من التكليف إلى رفع الكلفة ، وترجع عن

وعى وشعور منها إلى بساطة التفكير والمعيشة ، ولا أصف رجلاً

بالعقل ما لم يكن قد تقدم من حكمة الحصافة إلى حكمة الحفاقة ،

وأصبح فيلسوفًا ضاحكًا يشمر بمأساة الحياة ثم يشمر بمهزلتها .

إذ لا بد لنا من البكاء قبل الضحك ، لأن الحزن يصير إلى

اليقظة واليقظة تصير إلى ضحك الفيلسوف ، وملء هذا الضحك

ولا رب الرحمة والسحابة

وهذا الذي يقوله فيلسوف الصين الحديث هو إعادة عصرية

لما كان يقوله فيلسوفها القديم كنفشيوس ، أو هو إعادة لكل

فلسفة صينية حفظت لنا مسطوراتها إلى اليوم ، وخلاصة رياضة

النفس والتغلب على الأحزان

ففي بعض أيام كنفشيوس بلغت به المحنة أن أهدر دمه بين

أمرين متناقضين ، كلاهما يقصده بالسوء وليس منهما من يحميه .

ومضت عليه سبعة أيام بغير طعام غير حساء الأعشاب التي

تجمع من الخلل ، فشحب وجهه وهزل بدنه ولكنه لم يزل

في مجلسه يترنم على قيثارة . فلما تبرم تلاميذه بهذه المحنة ، دعاهم

إليه وناداهم : « ما هذا الذي تقولون !... إن المصاعب هي التي

تعلننا الهداية إلى الطريق ، وإنما في صبرارة الشتاء تعرف حق

المعرفة نضرة الربيع . وإن هذه الفتنة بين الأمرين لمي حظي

السميد » واستدار مترنماً إلى كوخه وهو محبور الفؤاد

هذه هي حكمة الصين بمخايرها : آداب سلوك ورياضة

نفس وخروج من ذلك كله بالصبر على مصاعب الحياة

ولم انحصرت حكمة الصين في هذين الموضوعين ؟

لأن « البلاط الملكي » فيها قديم ، وما زال البلاط الملكي

هو المصدر الأول لآداب السلوك وأصول الكياسة ورياضة

النفس على السمات اللائق والعرف الجميل

فأصبحت القدوة المطلوبة هي الأخلاق التي تحمد في معاشر

الملوك ، وأصبح قوام الحكمة كلها هو السلوك والرياضة ، بل

أصبح الرجل الذي يروض نفسه على مسيرة الناس واحتمال

سيئاتهم مرشحاً للأمانة والملك ، حيث يخفق الرؤساء والكبراء

ومن النوادر التي تساق في معرض هذا المعنى نادرة

في كتابهم المشهور « سفر الأسانيد » تجري على النحو الآتي :

قال الأمير : من يجد لي رجلاً أرفعه إلى مرتبة الوكالة عني ؟

فقال له بعض الحاشية : ابنك يا مولاي تلوح عليه غوائل الذكاء

قال الأمير : كلا فإنه شكس عنيد . أترأه يصلح لما نهده إليه ؟

ودانت لها الشعوب بالصولة ورجع إليها الأمر كله في العلم والتعليم والبحث عن حقائق الأشياء

فلما زالت هذه الصولة ظهرت الفلسفات الكونية بمقدار زوالها ، واشتهر القرن الثامن عشر وما بعده بتلك الفلسفات لأن العقول انطلقت في القرن الثامن عشر من حكم الكهانة المربقة واستباحات البحث فيما كان قبل ذلك حكراً موقوفاً على رجال الدين .

وعلى هذا ليست المسألة مسألة نغر للصين أو لغير الصين لأنها برعت في حكمة السلوك ولم تبرع في الحكمة الكونية ؛ وإنما هي مسألة مواعظ طبيعة عاقت الوظائف العقلية عن قابتها التي ينبغي أن تتجه إليها ولا تحتبس دونها ، فهي نقص وليست بكال ، وهي ضرورة مفروضة وليست بالزينة المقصودة ، كما أراد أن يصورها فيلسوف الصين الحديثة

وفي العهد الذي تتعاون فيه العقول على بناء العالم الجديد من عناصر الثقافات المختلفة ينبغي أن تمثل لنا هذه الحقيقة ولا نفعل عنها

ينبغي أن نعلم أن حكمة السلوك ورياضة النفس إنما هي حكمة تراد لتيسير « المعيشة » أي للمنفعة والراحة

ولكن « المعيشة » ومتافهما دون « الحياة » ودوافعها

فنحن نحسن السلوك ونروض النفس لنعيش في سلام ولكننا نفسر نظام الكون ونستجلى أسرار الطبيعة لنفقه نصيينا من الحياة ، ونتجاوز تيسير المعيشة إلى تحقيق معنى الوجود والعالم الجديد ينبغي أن يكون عالم معيشة وحياة ، وأن يسمو فيه الإنسان عن طلب الراحة إلى طلب الكمال ، وعن تهديئة خواطره إلى توسيع تلك الخواطر وتقريب ما بينها وبين التل الأعلى وإلا فهو عالم « مادي » محدود وإن تظاهر بالزهد والحكمة ،

ولا فرق في الجوهر بينه وبين النازية والفاشية والعسكرية اليابانية ، وهي الملة التي من أجلها نلتبس الخلاص من العالم المتداعي إلى العالم الجديد

هباس محمد العقاد

وقال غيره من رجال الحاشية : إن الوالي فلاناً يصلح لها فقال الأمير : كلا . لأنه يشكك عن الأعمال المظلمة ولا يميل شيئاً ، وأمانته ظاهرة ليس لها قرار

قال بعضهم : ليس لها إلا « كون » المدير القدير فأجابهم الأمير : كلا . كلا إنه يحيد عن القانون ويبني القناطر لنفسه إذا عم الفيضان . يعني أنه يجر النفع إلى ناحيته ولا يحفل بمصالح الناس

وعاد يسألهم أن يجدوا له رجلاً قديراً على ما يرجوه منه ولو لم يكن من النابهين الذين تقلدوا المناصب واشتهروا بين ذوى القامات

فذكروا له رجلاً من عامة الناس

قالوا للأمير حين سأل عنه إنه ابن رجل ضريب من الأجلان أنه سخابة سبابه ، وأخوه صلف شديد الخيلاء ، ولكنه عاش معهم ووفق بينهم وأبطل شكائهم وزرع منهم داعية الشر ، فهم هادئون وادعون

قال : إنه طلبتي ، وعلى اختباره

لحكمة الصين برعت في أدب السلوك ورياضة النفس لأنها نشأت من البلاط المريق ولم تزل منذ نشأتها تدور حوله وترجع إليه

لكن هذا يفسر لنا نشأة الفلسفة السلوكية ولا يفسر لنا امتناع الفلسفة الكونية ، فلماذا امتنعت الفلسفات التي تبحث في نظام الكون وسر الحياة وموضع الإنسان من هذا الوجود ؟ لماذا لم توجد في الصين فلسفة أو مذاهب فلسفة كذهب ديكارت وكانت وجعل وبرجسون وغيرهم من فلاسفة أوروبا في العصر الحديث ؟

الكهانة المربقة إلى جانب البلاط المريق

فالكهانة المربقة تفسر لنا امتناع الفلسفة الكونية ، لأن الكهانة تستأثر بأسرار الخلق وعبادة الخالق ولا تطبق المزاخرة من المفكرين في هذه الصناعة

وقد امتنعت الفلسفة الكونية في أوروبا حين قامت الكهانة